مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الانباء
التاريخ: ٢٠٠١/٧/١٢

د. مرسي سعد الدين المتحدث باسم الرئيس الراحل يتذكر:

ايام السادات

نشأت في الصعيد بثقافة انجليزية وترجمت اعمال يوسف السباعي فعرفني بالرئيس السادات هرب من القصر الجمهوري في كوناكري ليجلس معنا في الفندق

السادات حيا وميتا

يثير ضجة، ولا تتوقف من حوله المعارك الكلامية بين انصاره وخصومه، رغم اقتراب الذكرى العشرين لاغتياله في السادس من اكتوبر المقبل.

كثر يريدون رد اعتبار الرجل، وسط زخم من حملات التشكيك في مواقفه السياسية، لا سيما صناعة عملية التسوية مع اسرائيل.

ليست محاولة رد الاعتبار للسادات من قبل الفنان احمد زكي في فيلمه السينمائي «ايام السادات» المعروض حاليا بدور السينما والذي ترافقه مواجهات ساخنة بين الناصريين والساداتيين هي الاخيرة انما محاولات رفقاء الرئيس الراحل واصدقائه لا تتوقف لتبيض وجه السادات فهل يفلحون؟

المحاولة هذه المرة مفاجأة لأنها من شريك ايام السادات في الحكم د.مرسي سعد الدين المتحدث الرسمي باسمه والرئيس الاسبق لهيئة الاستعلامات، فتأتي شهادته لتزيل الكثير من الغبار، ليس حول مواقف الرئيس السياسية فحسب، وانما تميط اللثام عن السادات الانسان الذي لم يعرفه احد.

بداية العلاقة مع السادات

عندما تم تأسيس حركة التضامن الافريقي ـ الاسيوي في ديسمبر 1957 وكان امينها العام ايضا يوسف السباعي ورئيسها السادات ذهبت للعمل مع السباعي نائبا للأمين العام وهذه بداية معرفتي بالرئيس السادات وكان ذلك عام 1957 حين وافق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على استضافة المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافريقية ـ الآسيوية واعطى السادات مسؤولية رئاسته، وتولى يوسف السباعي منصب امين عام المنظمة والذي بدوره اختارني لان اكون نائبا له.

السادات في ذلك الوقت كان امين عام المؤتمر الاسلامي ومقره 7 شارع حسن صبري بالزمالك، ذلك القصر الجميل الذي يحتله الآن احد مكاتب رئاسة الوزراء.

وبعد انتهاء المؤتمر الاول تكونت السكرتارية الدائمة للحركة وتولى رئاستها يوسف السباعي، وكنت نائبا له، وكان السباعي في الوقت نفسه امينا عاما للمجلس الاعلى للفنون والآداب الذي يجاور المؤتمر الاسلامي في شارع حسن صبري بضاحية الزمالك ـ وسط

القاهرة - واختارني السباعي لأعمل في ذلك المجلس الجديد وسعى الى نقلي من كلية المعلمين الى المجلس وكلفني مسؤولية عرض الامور الخاصة بالتضامن الافريقي - الآسيوي على الرئيس السادات بحكم رئاسته للحركة.

هكذا بدأت في زيارات متعددة لمكتب السادات المجاور وكانت تلك بداية العلاقة، وتولى السادات رئاسة مجلس الشعب وكنت اعرض عليه هناك ما يستجد من خطابات وبحوث وتقارير عن التضامن الافريقي - الآسيوي كما كنت اصحب الوفود المختلفة التي كانت تفد من آسيا وافريقيا لمقابلته في مكتبه بمجلس الشعب.

مهمة الترجمة للرئيس

احيانا كنت اقوم بالترجمة بين السادات والوفود من الانجليزية الى العربية وبالعكس، وكان السادات يصمم على استعمال اللغة العربية. وما زلت اذكر اصطحابي لوفد من لجنة التضامن السوفييتية لمقابلته وقبل بدء الحوار قلت له «سيادتك تتقن الانجليزية والوفد معه مترجمة من

الروسية الى الانجليزية فلماذا لا تتحدث الانجليزية لتوفر الوقت؟».

قال السادات: تعرف ان رئيس الوفد السوفييتي يتقن الانجليزية كما اتقنها انا ان لم يكن اكثر، ولكن الترجمة لها وظيفة مهمة فحين تترجم انت ما اقوله الى الانجليزية فهو يفهم ما اقول وحين تترجمه له مترجمة الى اللغة الروسية فان فترة الترجمة تعطيه الفرصة لاعداد الرد وانا افعل الشيء نفسه وكان ذلك درسا في العلاقات الدولية.

الوفود السوفييتية كانت اكثر الوفود حضورا الى مصر ومقابلة السادات وانا اعتقد ان تلك اللقاءات المستمرة اعطت السادات فرصة لمعرفة طريقة تفكير السوفييت ومن ثم عرف كيف يتعامل معهم، وكانت الوفود الصينية ايضا من اكثر الوفود رغبة في مقابلة الرئيس السادات وقد ساعد ذلك ايضا على معرفة طبيعتهم، ولذلك استطاع ان يلعب دورا مهما في المؤتمر الثاني للتضامن الافريقي ـ الآسيوي الذي عقد في كوناكري عام 1961 بحكم رئاسته للمؤتمر وكان في ذلك الوقت نائبا للرئيس جمال عبد الناصر.

اثناء المؤتمر صمم الرئيس سيكوتوري على اقامة الرئيس السادات في القصر الجمهوري، ويبدو ان الرئيس السادات ضاق ذرعا بالحياة في القصر حيث البروتوكول والرسميات فكان كل يوم بعد انتهاء الاجتماعات يأتي الى الفندق الذي اقيم فيه مع يوسف السباعي في «سويت» حجرتين للنوم وحجرة جلوس ويبقى معنا في غرفتنا حتى موعد تناول الطعام ثم الاجتماع التالي.

وقد اعطتني تلك الفترة بالذات التي دامت نحو اسبوع ان اعرف الرئيس السادات عن قرب عرفته كانسان بعيدا عن المناصب الرسمية وعرفته كمثقف ومفكر له آراء مهمة وجادة في امور عديدة. ما زلت اتذكرها لانها محفورة في الذاكرة.

الرئيس السادات كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بشعبه وهنا يحضرني حادث لن انساه لانه كان السبب في ان ينهرني السادات للمرة الاولى حيث جاءني صديق من كبار رجال الاعمال في احدى الدول العربية الكبيرة، ومعه مشروع لاقامة «ديزني لاند» في مصر، لن يكلف مصر الا قطعة الارض في مكان ما في الصحراء.

بعد دراسة المشروع ذهبت الى الرئيس لأطلعه على ما جاء به الصديق العربي، وما ان اتممت عرض الموضوع إلا وهاج الرئيس السادات وقال لي بغضب: «هل فقدت عقلك يا مرسي؟ تريد انشاء «ديزني لاند» في الوقت الذي يتظاهر فيه الشعب من اجل غلاء رغيف الخبز؟ هذا عمل استفزازي للشعب لا اقبله، وما كان منك ايضا ان تقبله».

كبير العائلة المصرية

وعرفت للمرة الاولى رأي السادات فيما اطلق عليه اسم الاعمال الاستفزازية، كان دائما يطلب من رؤساء التحرير ألا ينشروا الاعلانات الاستفزازية التي من شأنها إثارة الجمهور.

هذا نموذج واحد عن مدى ارتباط السادات بالشعب وهناك نماذج عدة تؤكد ان السادات يفكر دائما بأنه رب اسرة هي الشعب المصري، وان عليه حمايتها واذكر في هذا المجال مقدمة كتاب صدر بعنوان «السادات كمتحدث» يقول فيها المؤلف ان هناك مثلا يقول ان الحديث يعكس طبيعتك، وانه لا يوجد رجل سياسة في مثل حجم السادات، تحدى نفسه امام شعبه عن طريق خطبه واحاديثه الصحافية العديدة.

يستطرد المؤلف فيقول: معظم الزعماء في مصر قبل السادات، بل وفي غيرها من الدول التي تتميز بنظام حكم على شاكلة الحكم المصري، او غيره في دول المنطقة، يستعملون كلمة «نحن» عندما يتحدثون الى الشعب، ولكن الرئيس السادات كان يستعمل كلمة «انا» وذلك بسبب توجهه الشعبي وخلفيته القروية، مما جعله لا يتصف بالعجرفة التي تميز غيره من الحكام.

كما ان خطبه السياسية سواء الداخلية او الخارجية حول الامور المهمة الاقتصادية والعسكرية وسواء كانت خطبا موجهة الى الاصدقاء او الاعداء، كان يستعمل فيها لفظ «أنا» الذي يعكس احساس الاب الذي يعبر عن طموحات اسرته، وهو الذي يتحمل مسؤوليتهم ومسؤولية اولاده، كما كان يشير بذلك الى الشعب ويحميهم من العالم الخارجي المعادي.

زيارة أميركا

تعليق مؤلف الكتاب يدفعني لكي اعود الى احاديث السادات منذ ان زار الولايات المتحدة للمرة الاولى ما بين 27 اكتوبر و6 نوفمبر 1975، وكان السادات اول من دعا رؤساء تحرير الصحف الى مرافقته

في الطائرة، ومن عادتي ان اسبق الرئيس لكي اعد المؤتمرات والمقابلات الصحافية، وكان في ذلك الوقت محمد حقي مستشارا اعلاميا في واشنطن، يساعده احمد ابو شادي، وتعتبر زيارة السادات لواشنطن هي الاولى بعد اعادة العلاقات مع الولايات المتحدة.

تحدث الرئيس السادات خلال زيارته لعدد من المدن الاميركية عن العلاقات الثنائية بين مصر والولايات المتحدة، لكنه كان يعطي القضية الفلسطينية الجزء الاكبر من كلمته، فقال في حفل العشاء الذي اقامه الرئيس جيرالد فورد يوم 27 اكتوبر «اني اعتقد انه صار من الواضح انه اذا كنا حقا نهتم باتفاق شامل يجب ان نعالج المشكلة الاساسية وهي المشكلة الفلسطينية، بعد مرور اكثر من 27 عاما حرم خلالها الفلسطينيون من انشاء دولتهم حيث يمكنهم الحياة والانتاج، اليس هذا من حقهم مثل غيرهم من الشعوب؟».

في خطابه الذي ألقاه في نادي الصحافة في 27 اكتوبر للمرة الاولى يتحدث عن مؤتمر السلام، قال السادات موجها حديثه الى رجال الصحافة بعد ان شرح القضية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في ديارهم «لهذا فإني احتاج الى تأييدكم وتعاونكم، اني

لا ارى تحديا اكثر من هذا، ولهذا فإني دعوت الى عقد مؤتمر للسلام يوم 16 اكتوبر 1973 في اطار الامم المتحدة مؤتمر تحضره الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وجميع اطراف النزاع، لكي نحل المشكلة على اساس القرار 242، ولذلك فإني ادعو الى ضرورة دعوة ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية الى مثل هذا المؤتمر».

وفي ذلك الاجتماع، سأله احد الصحافيين: ما رأيك فيما قاله ياسر عرفات «لا يهمني الرئيس السادات لأن الجيش المصري معي»؟ فرد السادات ضاحكا: «نحن معتادون على هذه اللهجة في منطقتنا».

استمر السادات يوضح فلسفته وسياسته في تبني خيار السلام أمام الصحافيين الاميركيين فقال: اني لست من انصار الحرب، او من محبيها، لقد بدأنا حرب اكتوبر لاقناع الاسرائيليين ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي لا يمكن حله عن طريق العجرفة.

ثم اكد السادات اهمية مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في اي اجتماعات خاصة بالمشكلة، وكان الرئيس السادات في جميع تصريحاته واحاديثه الى رجال الاعلام يؤكد الحقوق الفلسطينية.

«شارتر» لملاحقة الرئيس

وتحضرني هنا قصة طريفة كانت رحلة الرئيس - كما قلت - تغطي ست مدن اميركية، وكان الوفد الصحافي المصري والاجنبي عليه ان يغطي الرحلة كلها، ولم يكن من السهل ضمان حجز الطائرات الى كل هذه المدن، وتفتق ذهن احمد ابو شادي وهو المسؤول في المكتب الصحافي عن تحركات الصحافيين واقامتهم في كل بلدة يزورها الرئيس تفتق ذهنه عن تأجير طائرة «شارتر» تخصص للمهمة، وقد وافقت على الفكرة في الحال، وبدأنا مغامرتنا الجوية وكان الصحافيون يودعون السادات في مطار واشنطن مثلا، وحين يصل الى نيويورك يجدهم في انتظاره بالمطار، وكنت قد اتفقت مع قائد طائرة الرئيس على ان يعطينا بضع دقائق للوصول قبله الى المدينة اللاحقة، ولما تكررت عملية التوديع والاستقبال استدعاني الرئيس السادات، وسألني كيف يحدث ذلك، اترككم في مطار لاجدكم في المطار الذي اصل اليه، ماذا تفعل؟ فقلت له سيادة الرئيس هذا هو سر المهنة، فقهقه الرئيس قهقهته المعتادة وكان هناك تسابق من كبار الصحافيين ومن محطات التلفزيون لاجراء مقابلات مع السادات، حيث اجرى

15 حديثا وتصريحا للصحافة بالاضافة الى اجتماع مع المغتربين المصريين وهذه الخطب والاحاديث تعكس سياسة ثابتة لم يحد عنها الرئيس السادات، سياسة اساسها مصلحة مصر والعرب وحقوق الشعب الفلسطيني.

الستار الحديدي

كان انتصار اكتوبر، كما وصفه زيف شين المعلق العسكري لصحيفة «هآرتس» ومؤرخ الجيش الاسرائيلي «زلزالا» في المنطقة، ووصف زيارة السادات الى القدس بأنها زلزال في العالم، وقد اذت الزيارة الى نتائج مهمة، وهناك ثلاثة تطورات حدثت في العالم وفي اسرائيل، اولها انقسام المجتمع الاسرائيلي الى حمائم السلام وصقور الحرب، بعدما كانوا جميعهم من الصقور، واذكر اثناء مصاحبتي للوفد المصري الى القدس في 17 يناير 1978، كمتحدث رسمي للوفد ان التقيت بمجموعة من الشباب العربي واليهودي معا، وفي مناقشات معهم قال الشباب اليهودي، انه بعد حرب اكتوبر شعروا بأن السماء قد سقطت عليهم وانهم كانوا يعيشون تحت زيف الاسطورة بأن الجيش الاسرائيلي لا يقهر، وذكروا انه للمرة الاولى

حدثت هجرة مضادة من داخل اسرائيل الى الخارج. وقالوا عن مبادرة السلام، انه لو لم تقبل بلادهم المبادرة ووقعت حرب اخرى، فإنهم لن يشاركوا فيها، وولدت في ذلك الوقت حركة انصار السلام.

اما الاختراق الثاني، فكان للستار الحديدي للصحافة الاميركية، التي كانت ترفض نشر اعلانات مدفوعة لمكاتب اعلام الجامعة العربية عن العرب وقضاياهم، وبعد حرب اكتوبر خاصة بعد مبادرة السلام، كانت الصحافة تتسابق في نشر مقالات عن مصر والعرب والقضية الفلسطينية.

واذكر بعد لقاء في مصر بين الرئيس السادات ومندوب صحيفة «نيويورك تايمز» كتبت الجريدة المعروفة بميولها لاسرائيل مقالا بعنوان «التعصب الاسرائيلي»، في عددها الصادر في 19 ابريل 1975، تحدثت فيه عن الفرص الكبرى للسلام التي اضاعتها اسرائيل اولا لرفضها القرار 242 ثم رفض مذكرة جونار يارنج بإنهاء حالة الحرب، والعودة الى خطوط ما قبل 5 يونيو 1967، والتي قدمها الى كل من مصر واسرائيل عام 1971 وقد قبلتها مصر ورفضتها اسرائيل.

وتساءلت الصحيفة: هل تريد اسرائيل حقا السلام، واتهمتها بأنها تجمد كل مبادرات السلام التي تظهر وكتبت «الواشنطن بوست» وايضا «لوس انجلوس تايمز» وغيرهما من الصحف. وكان ذلك كسرا للستار الحديدي الذي يفصل بين مصر والعرب والاعلام الاميركي.

اما الثالث فتمثل في الرد على ما ذكره نورمان متكلستا بين مؤلف كتاب «الهولوكوست» في حديث مع جريدة الاهرام ويكلي، وذلك حين قال ان الحديث عن اللوبي اليهودي، هو مجرد عذر لعدم القيام بأي شيء، وانه عذر لفشل العرب فهم دائما يلومون اللوبي اليهودي دون محاولة تجاوزه.

والرد هو ان الرئيس السادات استطاع ان يفعل ذلك، وانه نجح في استقطاب اللوبي اليهودي - الاميركي الى جانب مصر.

شارل فؤاد المصري